DIRASAH AL-USLUB WA AL-USLUBIYAH FI NAQD AL-ARABY

Habibullah Ali Ibrahim Ali

Email: habeeb717@gmail.com
Faculty of Arabic Language Omdurman Islamic University Sudan
College of Education and Art Northern Borders University Saudi Arabia.

Abstract: In this study, we addressed method and style in Arabic criticism. By the efforts of Arab critics of old and new issue, the subjects of study were as follows: First, the stylistic origins. It means a stylistic in linguistic and rhetoric and literary criticism and other related; Second, analysis of stylistic levels where we focus on stylistic study premises for literary texts; Third, a study of the method in the old Arab criticism, in this part of the study, we noted some efforts by Arab critics about stylistic and their relevance studies in this stylistic aspect; Fourth, the stylistic of contemporary Arab criticism. This aspect of the survey stood at some critics of contemporary Arab studies in Stylistics, as stated what distinguishes each study than other studies. It is included as an appendix in whale most important results achieved in this study.

Keywords: Uslub, Uslubiya, Naqd, Dirasah

مقدمة

حاولنا في هذه الدراسة التعرف على جهود النقاد العرب في دراسة الأسلوب والأسلوبية قديماً وحديثاً، وذلك بالوقوف على الدراسات التي اتخذت من الجانب الأسلوبي في العمل الأدبي مرتكزاً لها، حيث ألمحنا إلى جهود عبدالقاهر في نظرية النظم التي تمت إلى الأسلوبية بصلة وثيقة، كما استعرضنا بعض أعلام النقد العربي المعاصرين الذين كانت لهم جهود مقدرة في الدراسة الأسلوبية للأدب وذلك بالتنويه إلى اتجاهاتهم المتباينة في دراسة الأسلوبية.

وقد اشتملت هذه الدراسة على الموضوعات التالية :

أولاً: نشأة الأسلوبية.

ثانياً: مستويات التحليل الأسلوبي.

ثالثاً: دراسة الأسلوب والأسلوبية في النقد العربي القديم.

رابعاً: الأسلوبية في النقد العربي المعاصر.

وذيلنا هذه الدراسة بخاتمة حوت أهم ما توصلنا إليه من نتائج.

نشأة الأسلوبية : .

لقد ارتبطت نشأة الأسلوبية من الناحية التاريخية ارتباطاً واضحاً بنشأة علوم اللغة الحديثة، وذلك أن الأسلوبية بوصفها موضوعاً أكاديمياً قد ولدت في وقت ولادة اللسانيات الحديثة، واستمرت تستعمل بعض تقنياتها(**كامل، ج٢٦، ٢٤، ص٢٢١- ٢٦٤ :أكتوبر، ديسمبر، ١٩٩٧م،.**).

ولم يظهر مصطلح الأسلوبية إلا في بداية القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة التي قررت أن تتخذ من الأسلوب علماً يدرس لذاته، أو يوظف في خدمة التحليل الأدبي، أو التحليل النفسي، أو الاجتماعي، تبعاً لاتجاه هذه المدرسة أو تلك(**يوسف ، www.swmas.net،٦١ص**).

ولعل أول من استعمل مصطلح الأسلوبية هو نوفاليس "Novalis"، وكانت الأسلوبية عنده تختلط مع البلاغة(**المسدي،١٩٨٢مص٩**)، وقد تبعه في هذا المفهوم هيلانغ "Hilang" الذي يقول إن الأسلوبية (عمل بلاغي)

(**المسدي،١٩٨٢مص٩**))، ثم انفصلت عنها، والتحقت بميدان الدراسات اللسانية التي يعدّ العالم السويسري دي سوسير رائدها الأول.

يرتكز حقل الأسلوبية على (ثنائية ريفاتير). وإن اعتمدت كل هذه المدارس على رصيد لساني، فإن الأسلوبية معها قد تبوأت منزلة المعرفة المختصة بذاتها أصولاً ومناهج(**المسدي، ١٩٨٢م، ص ٥١**).

والأسلوبية مصطلح يحمل في حناياه سمات المنهجية، بوصفه منهجاً نقدياً يلتقي بالأسلوب من جانب ويخالفه من عدة جوانب، فالأسلوبية وإن كانت مرتبطة بالأسلوب ارتباط المنسوب بالمنسوب إليه، فإنها تخالفه في الكينونة والوظيفة، فإذا كان الأسلوب يمثل طريقة الكاتب في التعبير عن أفكاره ورؤاه، فالأسلوبية تمثل بحثاً علمياً لدراسة العناصر الأسلوبية المستعملة في التعبير عن تلك الأفكار والرؤى، وبعبارة أكثر تكثيفاً نقول إن الأسلوب من مهام المبدع، أما الأسلوبية فهي من مهام المتلقي الواعي (الناقد)؛ من هنا باينت الأسلوب في وظيفتها إزاء النص، والتقت معه في الموضوع؛ لأن الأسلوب يعدُ الموضوع الوحيد للدرس الأسلوبي، بيد أن الأسلوبية معنية بملاحقة البنى الجزئية الدالة على الإبداع هنا وهناك، ولا تقف من بنية النص الإبداعي برمته (**الحسناوي، ص٣٨– ٣٩: د. ت**).

لقد حاول الدارسون ربط الأسلوبية بركب اللسانيات علهم يكسبون تلك ما لهذه من صبغة علمية، وتعددت المحاولات وتشعبت النظريات إلى حد التعقيد مما يتجلى في المفاهيم المستنبطة والمصطلحات المستعملة، وفي نزعة إلى التجريد لا تخلو من مبالغة أحياناً، ولاشك أن هذه المحاولات أثرت النظرية اللغوية وفتحت آفاقاً هامة للدراسات الأدبية، ولكن الدارس العربي لا يمكن له أن يستفيد منها إلا إذا تفقه في هذا النوع الجديد من علوم اللغة، فعليه أن يتمثل أسسه، وأن يتفهم نظرياته، وأن يمسك بزمامها، ويدرك صيغتها النسبية حتى لا يتوهم بأنه فاز بالقول الفصل، وظفر بالمنهج الذي لاكمال يرجى بعده(**المسدي،١٩٨٢مص٩**)

يقول ميشال "أريفاي" "Michel Arrioe": (إن الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مشتقات من اللسانيات) (**المسدي،١٩٨٢مص٤٨**). ويقول ((دولاس ريفاتير)) : (إن الأسلوبية تعرف بأنها منهج لساني) (**المسدي،١٩٨٢مص٤٨**).

فاللسانيات تهب الأسلوبية ثمار بحثها من حيث هي عمل ينجز على الآثار الأدبية، ولا يأنس الباحث من نفسه قدرة يسيطر بها على الظواهر اللغوية المختلفة حتى تتفتح أمامه مجالات واسعة للتحليل، فيصبح النص الأدبي جهازاً ينظمه تماسك لغوي خاص، وفي الأثر الأدبي تتكشف المجلات الدلالية الخارجية لأن الكلمات وإن حملت بصمات أصحابها فأصحابها يحملون بصمات حضارتهم، وإن كان الكاتب والوسط الثقافي متلازمين، فإن الأسلوبية وعلم الدلالة التاريخي يعضد أحدهما الآخر، فالآثار الفنية تؤخذ أولاً في استقلالها كعوالم مغلقة، ولكنها تؤخذ بعد ذلك من وجهة التطور التاريخي حيث يتداخل الأخذ والعطاء بين أصناف النشاط البشري، ولا شك أن التاريخ مفهوم ضمني وكل أثر متميز هو أثر جليل لأنه يجسم لحظة تاريخية على حد ما هي تجسمه، فإذا كانت لسانيات ((سوير)) قد أنجبت أسلوبية ((بالي)) (**المسدي،١٩٨٢مص٤٨**)، فإن هذه اللسانيات نفسها قد ولدت البنيوية التي احتكت بالنقد الأدبي فأخصبا معاً ((شعرية جاكبسون)) وإنشائية ((تودوروف)) وأسلوبية تكاملية هي من مواصفات التفكير الألسني.وقد أحكم استغلالها علمياً سوسير، وتتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة الألسنية إلى واقعين، أو لنقل إلى ظاهرتين وجوديتين، ظاهرة اللغة، وظاهرة العبارة، وقد اعتمد كل الألسنيين بعد سوسير هذا الثنائي، فحاولوا تركيزه في التحليل، وتدقيقه بمصطلحات تتلون بسمات اتجاهاتهم الألسنية(**المسدي،١٩٨٢مص٣٤**).

وبحسب هذه الفكرة فقد أفادت الأسلوبية من علم اللغة الحديث فكرتين مهمتين :

الأولى: التمييز بين اللغة والقول التي قال بها العالم سوسير، إذ ميز بينهما تميزاً دقيقاً، فاللغة عنده نظام متعارف عليه من الرموز التي يتفاهم بها الناس، أما القول فهو صورة

اللغة المتحققة في الواقع في استعمال فرد معين في حالة معينة، وهذا الاستعمال يطابق النظام العام للغة في صفاته الأساسية، ولكنه يختلف في تفضيلاته من فرد إلى آخر، ومن حالة إلى حالة، فلكل فرد من المتعلمين طريقته الخاصة، وهذه الفكرة قادت إلى نشوء علم الأسلوبية لأنها شخصت السمات التي تتخذها اللغة في الاستعمال، وهي التي تكون ما أسماه أهل الأدب الأسلوب.

الثانية: إن الاختلافات اللغوية ترجع في الغالب إلى اختلاف المواقف، فاللغة بوصفها نظاماً اجتماعياً تأخذ أشكالاً متعددة، وهو ما يجعل لكل فئة من الناس طريقتها الخاصة في استعمال اللغة ومن أبرز عوامل الاختلاف :

١. الجنس، فكثير من الكلمات تشيع بين النساء ولا تشيع بين الرجال.
٢. العمر، فالشباب يختلفون عن الأطفال، وكذا الشيخ في استعمالهم للغة.
٣. المهنة، فالطبيب يستعمل طريقة في التحدث تختلف عن طريقة القاضي مثلاً.
٤. البيئة الاجتماعية، فالبادية تختلف عن الحاضرة في أدائها اللغوي.
٥. المناسبات الاجتماعية والمواقف تتطلب في بعض الأحيان أداءً لغوياً مناسباً لها.

مستويات التحليل الأسلوبي (أبو العدوس،٢٠١٣م، ص ٥٠-٥١) :

يمكن القول إن الأسلوبية قد أقامت تحليلاتها على المستويات الآتية :

أ . المستوى الصوتي: يرتكز التحليل الصوتي للأسلوب على :

١. الوقف. ٢. الوزن.
٣. النبر والمقطع. ٤. التنغيم والقافية.

ففي هذا المستوى يمكن دراسة الإيقاع والعناصر التي تعمل على تشكيله، والأثر الجمالي الذي يحدثه... كذلك يمكن دراسة تكرار الأصوات، والدلالات الموحية التي تنتج عنه.

ب . المستوى التركيبي: وفي هذا المستوى يمكن دراسة الجملة والفقرة والنص، وما يتبع ذلك مثل الاهتمام ب :

١. طول الجملة وقصرها. ٢. المبتدأ والخبر.
٣. الفعل والفاعل. ٤. العلاقة بين الصفة والموصوف.
٥. الإضافة. ٦. الصلة.
٧. التقديم والتأخير. ٨. العدد.
٩. التعريف والتنكير. ١٠. التذكير والتأنيث.
١١. الروابط. ١٢. الصيغ الفعلية.
١٣. الزمن. ١٤. البناء للمعلوم والبناء للمجهول.

ج . المستوى الدلالي: وفي هذا المستوى يمكن دراسة:

- الكلمات المفاتيح.
- الكلمة والسياق الذي تقع فيه وعلاقتها الاستبدالية والمتجاورة.
- الاختيار.
- المصاحبات اللغوية.
- الصيغ الاشتقاقية.
- المورفيمات لعلامات التأنيث والجمع والتعريف.

د . المستوى البلاغي: يتضمن هذا المستوى دراسة:

١. الإنشاء الطلبي وغير الطلبي، كدراسة أساليب الاستفهام، والأمر، والنداء، والقسم، والدعاء والتعجب والنهي ... والمعاني التي يخرج إليها كل نوع.

٢. الاستعارة وفاعليتها ...

٣. المجاز العقلي والمرسل ...

٤. البديع ودوره الموسيقى ...

ونستطيع في هذا السياق أن نضع أيدينا على شكلين من أشكال الأسلوبية الوصفية في تراثنا النقدي، الأول ما

يمكننا أن نطلق عليه ((أسلوبية النمط)) وهي التي تدرس الأسلوب وفق نماذج نمطية من الاستخدام اللغوي، ويمثلها في تراثنا النقدي ما دار من نقود حول أسلوب الشعر المحدث قياساً على أسلوب الشعر القديم، ويمثل الآمدي نموذجه الأمثل من خلال ما قدمه من ممارسة نقدية لأسلوب أبي تمام على وجه الخصوص، إذ نظر إليه في ضوء أساليب الشعراء الأوائل.

أما الشكل الثاني: فهو ما يمكننا أن نطلق عليه أسلوبية النوع، وتبحث هذه الأسلوبية في نوعية الصياغة اللغوية وتفردها، فتعنى بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية (**المسدي، ١٩٨٢م، ٣٦**)، فيتم التعرف على النصوص من خلال تميز أسلوبها، وطريقة أدائها اللغوي، ويقدم عبد القاهر الجرجاني نماذج عديدة وناضجة لهذا الشكل من الأسلوبية(**عبابنة ، ٢٠١٠م ص ٣٠٧ـ ٣٠٨**).

إن الأسلوب هو طريقة الكاتب الخاصة في التفكير والشعور، وفي نقل هذا التفكير وهذا الشعور في صورة لغوية خاصة، ويكون الأسلوب جيداً بحسب درجة نجاحه في نقل ذلك إلى الآخرين، ويترتب على ذلك أن تقليد الكتاب في أساليبهم ـ إذا أمكن ذلك ـ لا يحدث مطلقاً في عمل إبداعي مبتكر؛ لأن المقلد إنما يعرض عندئذٍ شخصية أخرى، ولا يمكن في هذه الحالة أن يكون له أسلوبه الخاص. فالكتاب لا يتكررون، وإنما هم أفراد متميزون. وكذلك الأسلوب، خاصية فردية متميزة.

وقد كان البحث في طبيعة الأسلوب مشكلة منذ عهد أفلاطون، فالأسلوب من وجهة النظر الأفلاطونية صفة نوعية خاصة، إما قائمة، وإما غير قائمة، فهي ليست شيئاً يضاف إلى الكتابة. كما أنها ليست مجرد شكل توضع فيه الكتابة، ولكنها صفة ـ إن وجدت ـ تتمثل فيما هو مكتوب.

وخلاصة هذه القضية أن الأسلوب ينظر إليه من وجهة نظر على أنه خاصة فكرية، ومن وجهة نظر أخرى على أنه خاصة تعبيرية.

وحين ينظر إلى الأسلوب على أنه خاصة فكرية يكون التعبير اللغوي ليس شيئاً سوى تحقيق للفكرة في الصورة الحسية المناسبة. فالأفكار وحدها أساس الأسلوب بحسب رأي بوفون وأفلاطون من قبل. وحين ينظر إلى الأسلوب على أنه خاصة تعبيرية لا يكون الفكر بوصفه مادة العمل الفني أساساً، ولا يكون لمادة العمل الفني أن تحدد الصورة وخصائصها؛ لأنه يحدث أن تكون المادة واحدة، ولكن كاتباً يخرجها في صورة وآخر في صورة أخرى بينهما تفاوت في الواقع. وهما يختلفان كذلك عن محرر الحوادث الذي يقدم تقريره المشتمل على هذه المادة أيضاً، ولكنه يكون تقريراً خالياً من كل وقع، فإن ما يجعل الكتاب تحفة فنية ليس هو حوادث المغامرة الأساسية، ولكنه التعبير عنها، المرصوف رصفاً ممتازاً.

والفصل في هذا الإشكال يقضى بأن يكون الأسلوب صفة عقلية متحققة في اللغة، ويتبع هذا أن تكون لغة الأديب شخصية.... بدليل أننا: نجد لكل أديب أسلوبه الخاص الذي تميز به عن غيره من الأدباء.

وفردية الأسلوب الأدبي أو العمل الأدبي تأتي من أنه صادر عن فرد وعموميته تأتي من أنه موجه إلى الجماعة(**إسماعيل، ٢٠٠٤م ص ٢٢ـ ٢٤**).

وفي مجال تحديد مفهوم الأسلوب أخذت فلسفة النحو حقها، باعتبارها ممثلة بطبيعة التركيب في الصياغة، سواء في مستوى الصحة أو مستوى الجمال والإبداع، ومن حيث مثلت مباحث النحو في بعض جوانبها ربط التركيب بالأغراض والمعاني، وكانت الخبرة بهذه التراكيب هي خبرة بالمعنى في وقت واحد.

وقد أفاد عبدالقاهر الجرجاني بما في النحو من إمكانات تركيبية، ووظفها بشكل مباشر في محاولة خلق نظرية لغوية في فهم الأسلوب، من حيث كان النحو خالقاً للنسق التعبيري الذي يحقق (المزية والفضيلة) بجانب الصحة والسلامة.

وأعتقد أن عبدالقاهر نجح في ذلك نجاحاً غير محدود؛ حيث استطاع من خلال مفهومه للنحو أن يستكشف جوانب خصبة في التراكيب، فربط نظامها بالفكر اللطيفة، وكان ذلك

مدخله لمناقشة قضية الإعجاز القرآني، وأطلق على نظريته كلمة دقيقة هي: (النظم).

ويكاد عبدالقاهر يتوافق مع الأسلوبيين المحدثين في كثير من مباحثه، وخاصة في الإمكانات الاستبدالية والقدرة التوزيعية، وفي مقولتهم عن انتهاك اللغة، وانحرافها عن النمط المألوف، وذلك بإخضاعه المجاز لسيطرة النحو وعلاقته التركيبية، إن لم نقل إنه جاوزهم بمقولته عن تجدد المواضعة تبعاً لتجدد الاستعمال.

وعبدالقاهر لا يفوته أن يرجع إلى كل ما كتب حول البلاغة من كتب القدماء، وهو بذلك يجتهد كل الاجتهاد في البحث والتفكير والاستنتاج، ومن ثم جاءت آراؤه غاية في سلامة الذوق وسلامة التفكير.

وحين نرجع إلى علم المعاني، نجد أن دراساته قريبة إلى الأسلوبية قرباً كبيراً، فإذا جئنا إلى التقديم والتأخير مثلاً نجد أن هذا الباب هو بحث عن فهم عبدالقاهر للصياغة الأسلوبية المتمثلة في بلاغة الأسلوب، وأسرار هذه البلاغة، وكذلك يجئ عرضه للتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية وبلاغتها، فهو في ذلك يقف عند صياغة الأسلوب، ودلالة هذه الصياغة نفسها عن المعنى.

إن عبدالقاهر في نظريته في النظم، لا يكاد يختلف عن مفهوم الأسلوبية، وفن صياغة الأسلوب، ودلالة هذه الصياغة على المعنى.

وقد تابع القدماء أفكار عبدالقاهر في صياغة الأسلوب، وقسموا البلاغة إلى ثلاثة فنون: المعاني، والبيان، والبديع، وهم في ذلك كله يبحثون مع عبدالقاهر في الأساليب والفروق بينها، وبلاغة كل أسلوب وخصائصه، إنهم متابعة لعبدالقاهر إنما يبنون أحكامهم الأدبية على قاعدة قوية من خصائص الأسلوب وبلاغته، فعبدالقاهر بذلك يعدُ أول باحث عن بلاغة الأسلوب، وألوانه وخصائصه، أو ليس في ذلك كله ما يجعلنا نجزم جزماً قاطعاً بأن بين الأسلوبية وفكر عبدالقاهر الجرجاني في النظم صلة قوية وعلى الصلة المباشرة بين الأسلوبية وخصائص البلاغة العربية(**خفاجي، فرهود، شرف، ١٩٩٢ص ٦– ٧**).

ودراسة مباحث الأسلوب ومفهومه في الدراسة العربية الحديثة تؤكد عملية التواصل بين القديم والجديد، من حيث كانت مباحث حسين المرصفي ومصطفى صادق الرافعي وأحمد حسن الزيات وأحمد الشايب وأمين الخولي قائمة في جوهرها على ما أصله القدماء من دراسات بلاغية، مع الإفادة في الوقت نفسه من التيارات الخصبة التي وفدت من الغرب مع مطلع نهضتنا الحديثة، وإن كان ذلك كله لم يهيئ لظهور النظرية العربية المتكاملة في دراسة الأسلوب(**عبدالمطلب، المقدمة ١٩٩٤**).

ونحب أن نقرر هنا وجود وشائج قوية بين مفهوم الأسلوب عند ريفاتير ونظرية التخييل الشعري التي استنبطها الفلاسفة المسلمون من شرحهم لكتاب الشعر الأرسطي ووصلت زروة نضجها عند البلاغي العربي أبي الحسن حازم القرطاجي صاحب ((منهاج البلغاء وسراج الأدباء))(**مصلوح، ١٩٩٢ ص٤٢**).

انتقل الأسلوب في النقد الحديث من كونه يعنى الطريق أو الفن أو المذهب أو الوجه(**ابن منظور، مادة سلب**).، ومن كونه عاماً مميعاً يختص بالموضة والفن والسياسة وتدبير الحياة اليومية(**بليث، ١٩٩٩م ص ٥١**)، إلى علم ومنهج نقدي قائم بذاته يتكفل برصد الملامح المميزة للخطاب الأدبي. ويعرف الأسلوب في الاصطلاح الأدبي النقدي بأنه: ((طريقة يستعملها الكاتب في التعبير عن موقفه، والإبانة عن شخصيته الأدبية المتميزة عن سواها، لا سيما في اختيار المفردات، وصياغة العبارات، والتشابه والإيقاع))(**عبدالنور ، ١٩٧٩م ٢٠**). واتخذ اسماً خاصاً به هو الأسلوبية.

وتتخذ الأسلوبية من الخطاب الأدبي عامة مادة وغاية لها. يقول الباحث اللبناني بسام بركة: ((إن الأسلوبية تحليل لخطاب من نوع خاص، فهي وإن كانت تعتمد على قاعدة نظرية (لسانية أو سيميائية أو براغماتية، فإنها أولاً وأخيراً تطبيق يمارس على مادة هي الخطاب الأدبي))(**مولينيه، بركة، ٢٠٠١، ص١٠٠: ٣٠٤**،).

وهي لا تقف عند حدود سطح النسج الأدبي، بل إنها ((لا تلبث بعد ذلك أن تختلط بالنص ذاته عبر عمليات

التفسير وشرح الوظيفة الجمالية للأسلوب لتجاوز السطح اللغوي ومحاولة تعمق دينامية الكتابة الإبداعية في تولدها من جانب وقيامها بوظائفها الجمالية من جانب آخر))(**فضل، ٢٠٠٢م ص٨٨**).

والأسلوبية تركز بحكم نشأتها . على اللغة في تحليل النص ودراسته، عندما تكشف عن جوانب الخصوصية والتميز في اللغة، فإذا كان اللغوي يدرس ما يُقال، فإن الأسلوبية تدرس كيفية ما يُقال، ويوجد فارق شاسع بين الدراسة اللغوية والدراسة الأسلوبية، صحيح أن الدراسة الأسلوبية اعتمدت في نشأتها الأولى على تطور الدرس اللغوي واستفادت منه، ولكنها حددت مسارها . فيما بعد . في دراسة الظواهر اللغوية في النص الأدبي وتحليلها، واستطاع دارسو الأسلوبية أن يوظفوا الدراسات اللغوية توظيفاً نقدياً وبلاغياً.

ويمتاز منهج النقد الأسلوبي بالموضوعية، وغياب ذاتية الناقد، لأن الناقد يتعامل مع مفردات النص ولغته، ويصدر حكمه على هذه المكونات التي يتشكل منها النص دون أن يلتفت كثيراً إلى صاحب النص.

والدرس الأسلوبي يتخذ وسائل تقرب أحكامه من الموضوعية وتعين على تحقيق غايته، من أهمها :

استخدام الإحصائيات في صور مختلفة، ما بين رصد عددي مجرد لمرات شيوع ظاهرة بعينها، وقياس نسب الظاهرات إلى قدر معين من النتاج اللغوي الأدبي بطرق إحصائية يسيرة أو مركبة.

وهو يستعين في الأساس بالخبرة اللغوية لدى الدارس، فهي التي ترشد إلى وصف الظاهرات وتتبع العناصر وتحليلها، وردها إلى المستويات اللغوية التي تنتمي إليها، وربما أمكن تفسيرها وتقديم ما يعين على إدراك الأسباب الداعية إلى ورودها بالقدر الملحوظ في النص(**جبر، ١٩٨٨م ص٦**).

وبالرغم من اختلاف الدارسين حول جدوى استخدام تقنية الإحصاء في دراسة الأسلوب بين معارض لها (غريماس مثلاً) ومؤيد (مولر مثلاً)، وكما وسم أولمان الطرق الإحصائية بافتقارها للحساسية الكافية لالتقاط الخبايا الدقيقة للنص، وعدم احتفالها بالسياق، وتقديمها الكم على الكيف، وحشدها لعناصر متباينة على صعيد واحد بناء على تشابه سطحي بينها(**أولمان، عياد، مقال**).

وذهاب تشومسكي إلى أن ((المصطلحات العلمية الفخمة والإحصاءات المؤثرة التي يكسو بها السلوكيون دراساتهم ما هي إلى لون من ألوان الخداع والتمويه يخفون به عجزهم عن تفسير الحقيقة البسيطة التي تقول أن اللغة ليست نمطاً من العادات، وأنها تختلف جوهرياً عن طرق الاتصال عند الحيوان))(**ليونز.، م : س، ص٣٦– ٣٧**). إلا أن الفرنسي جيرو استطاع أن يؤسس لاتجاه أسلوبي بمؤازرة بعض رفاقه وسمّى ((بالأسلوبية الإحصائية))، التي تتخذ من الأسلوب واقعة قابلة للقياس الكمي(**يوسف ، ص٦١، www.swmas.net**).

الأسلوبية في النقدي العربي المعاصر: .

بحكم احتكاك الثقافة العربية بالثقافة الغربية وسيطرة الفكر العقلي الموضوعي على البحث الإنساني في العصر الحديث تطلع النقاد والباحثون العرب إلى مستقبل الأسلوبية، ودورها في النقد العربي، كما لم يهمل هؤلاء النقاد والباحثون الاهتمام بظاهرة الأسلوب منذ العصور الأولى وخاصة على مستوى الشعر، وأهم ما وصلنا منها آراء الجاحظ في كتبه النقدية وخاصة كتاب (الحيوان) و(البيان والتبيين)، وقد رأى الدكتور عبدالله العشي في الكتاب الأول ما يقارب المائتين مصطلحاً، أو مفهوماً نقدياً، أضف إلى ذلك قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى في مقولته المشهورة، وقد فسرها بعض الباحثين بـ ((... بما أن المعاني كلها مطروقة مطروحة، فإن الأمر يعود . إذن . إلى الطبيعة الأسلوبية المميزة، التي تعطي الجوانب الذاتية للتعبير (المعنى)، وتخرجه من حيزه العام إلى الحيز الخاص ذاته))(**الزهرة، ١٩٩٦م ص١٠١**). وهذا يفهم على أساس أن العرب الأوائل تفطنوا إلى الخصائص الشكلية في الخطاب الأدبي، وأولوها أهمية كبيرة وعقدت بذلك موازنات نقدية أسلوبية مشهورة كموازنة الآمدي (ت ٣٧٠هـ) بين شعر أبي تمام والبحتري، وما أفرزته نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجاني

من آثار لدى علماء الغرب الذين تفطنوا من خلال جهود النقاد العرب الأوائل إلى أهمية الجانب الشكلي في الخطاب الأدبي وآلية بروز السمة الأدبية الشكلية وفق محوري الاختيار والتراكيب، وهو ما حدا بهم إلى دراسة هذه العملية واختصارها في مصطلحات دقيقة، أعاد العرب فيما بعد نقلها بعد ترجمتها لتكتسح الساحة النقدية، وأزداد هذا الإعجاب بأن شعروا بأهمية الأسلوب والبحث الأسلوبي، وكانت البواكير الحقيقية للممارسة النقدية الأسلوبية بمفهومها الحديث في نهاية السبعينات من القرن الماضي(**الحاج، ٢٨٢ ج٤٠، مج١٠، د. ت**)، وقد مرت هذه الممارسة بمرحلتين وهما(**الحاج، ٢٨٢ ج٤٠، مج١٠، د. ت**) :

أولاً: المرحلة التعريفية أو التأسيسية في نهاية السبعينات، وأوائل الثمانينات من القرن الماضي عندما خاضت البحوث الأسلوبية العربية في تعريف الأسلوبية ومعطياتها وحقولها النسقية ومساراتها عند العرب وميزها اتجاها وهما :

١. مسار تعريفي حديث ورواده الدكاترة : عبدالسلام المسدي، شكري عياد، صلاح فضل.

٢. مسار توفيقي : رسم حدود التواصل بين البلاغة العربية القديمة ومسارات المنهج الأسلوبي الحديث ومن رواده الدكاترة : محمد عبدالمطلب، محمد الهادي الطرابلسي وغيرهما.

ثانياً: المرحلة الإجرائية، صنفت فيها الكشوف التطبيقية وروادها من المنظرين الأوائل لعلم الأسلوب وأبرزهم عبدالسلام المسدي في كتبه التطبيقية، ود. صلاح فضل، ود. كمال أبو ديب في كتابه (الشعرية).

ويبدوا أن تيار الأسلوبية بدأ في المغرب والجزائر وتونس وفي سوريا (كمال أبو ديب)، ثم انتقل إلى المشرق العربي، وقد مثل كل دولة مجموعة من الباحثين العرب، ففي السعودية الدكتور (عبدالله الغذامي) الذي تتلمذ على يد الدكتور (سعد مصلوح)، وفي تونس (د. عبدالسلام المسدي)، وفي مصر طائفة من الباحثين (صلاح فضل، محمد عبدالمطلب، شكري عياد، عبدالمحسن طه بدر، أحمد درويش)، وفي الأردن (خليل أبو عمايرة)، وفي الجزائر (عبدالملك مرتاض، نورالدين السد،..).

ولقد تنوعت بحوث هؤلاء النقاد والباحثين العرب بين النظرية الصرفة التي ترصد وتفحص تصورات هذا العلم على الساحة النقدية وأخرى تطبيقية لإبراز إمكانيات التحليل الأسلوبي في العملية النقدية وثالثة حاولت التوفيق والجمع بين الجانبين، يضاف إلى ذلك بعض الآراء الاجتهادية والتطبيقات الفردية وأهمها :

أولاً: د. عبدالسلام المسدي :

اتسمت بحوثه الأسلوبية ومصنفاته بالبحث عن نقاط التكامل، والتواشج بين المنحى الجمالي والمنحى الموضوعي العلمي إلا أن تحاليله نزعت إلى روح التجريدية العلمية أكثر من الرصد والكشف الجمالي، ويعتبر المسدي من الباحثين الأوائل الذين روجوا لمصطلح الأسلوبية، كما يفضل اعتماد مصطلح (علم الأسلوب)(**السد، ١٩٩٧ ص١٣،١**). كما أنه لم يمل إلى منهج معين لذاته في تحليله الأسلوبي بل مزج بين المقولات الأسلوبية ومعطيات علم النفس. ودعا إلى ضرورة إغناء العمل الأسلوبي بالفحص النقدي النظري، والمراجعة التطبيقية للوصول إلى تخليص المعارف، وتمحيص المفاهيم، كما ألح على ضرورة الحذر والحيطة المسبقين في اختيار الخطو الأولى للولوج إلى العمل النقدي ذي الطابع الأسلوبي(**الحاج، ٣٠٠-٣٠٢، د. ت**).

د. صلاح فضل :

رائد من رواد البحث الأسلوبي في المشرق العربي، عكست إنتاجاته اهتمامه الخاص بالبحث في مجال هذا العلم وسعيه الدؤوب لوضع أسس علمية وجمالية لأسلوبية عربية قادرة على إثبات وجودها أمام المد المتصاعد للتيارات النقدية الوافدة من الغرب، والتي لا يتلاءم بعضها مع طبيعة النص الأدبي، ومن أهم آرائه في هذا المجال تفضيله لاستخدام مصطلح (علم الأسلوب) بدل الأسلوبية لأن علم الأسلوب هو جزء لا يتجزأ من علم اللغة العام. كما أطلق كذلك على علم اجتماع الأسلوب والشعرية معاً مصطلح (علم الأسلوب

الشعري) في بحث واحد وهو لا يغفل المواشجة بين المراحل النصية والسياقية، وكذلك الظواهر الجمالية أثناء التحاليل الأسلوبية للنصوص الشعرية وأساليبها بشرط احترام خصوصيات النص الأدبي العربي(**السد، ١٩٩٧مج١، ٣٩٤صـ ٣٩٥**).

د. سعد مصلوح:

اعتمد مصطلح (الأسلوبيات) الموافقة لما جاء على لسان السلف على وزن (الطبقات، الرياضيات)، كما يرى هذا المصطلح يتفق حديثاً مع مصطلح (اللسانيات)، إذا يعتد بهذا العلم (علم الأسلوب) ولا يعده منهجاً لأنه يضم عدة مناهج بداخله(**السد، ج١، ١٩٩٧ص ج١، ٨٥**).

د. شكري محمد عياد :

اجتهد في تقسيم وتفريع الأسلوبية إلى وجهين رئيسين(**السد، ١٩٩٧مج١،ص ٣٩**):

– علم الأسلوب العام : وهو علم يهتم بالخصائص الأسلوبية التعبيرية في اللغات عموماً كالمجاز وغيره.

– علم الأسلوب الخاص : يعنى بميزات أسلوبية تعبيرية خاصة بلغة ما معينة، وهو في موقف آخر يدعو إلى الاعتداد بالبلاغة العربية وما قدمته للبحث الأسلوبي الحديث في دراسة القيم التعبيرية والاستفادة من الدراسات اللغوية الحديثة في إرساء علم الأسلوب العربي.

د. نور الدين السد :

أبدى اهتماماً كبيراً بالأسلوبية ومنهج تحليل الخطاب من خلال كتابة (الأسلوبية وتحليل الخطاب) سنة ١٩٩٧م، والذي كان بمثابة دراسة بيلوغرافية لمختلف الدراسات السابقة، وخاصة العربية منها إلى جانب بعض الاختلافات الجوهرية لها، وحاول عرض هذه التجارب عرضاً ملخصاً أورده فيه أهم إيحاءات هذه التحاليل وما أضافته للبحث الأسلوبي مع الفروقات الجوهرية بينها، ومن آرائه في هذه المجال وصفه للأسلوب بأنه مرتبط بعلم اللغة عن طريق المادة اللغوية التي يصدر عنها(**السد، ١٩٩٧م ص ج١، ١٣٩**).

ومن خلال ذلك كله نقف على شهادة الدكتور (طه وادي) في كتابه (الأسلوبية) إذ يصرح ((اليوم... لم يعد ثمة ريب بين الدارسين العرب للنص الأدبي ... أن منهج الأسلوبية قد أصبح أكثر المناهج المعاصرة قدرة على تحليل الخطاب الأدبي بطريقة علمية موضوعية تعيد مجال الدراسة . دراسة النص . إلى مكانها الصحيح، وهو دراسة الأدب من جانب اللغة)) (**سليمان، ١٩٩٧م ص٥**).

الخلاصة

وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى عدة نتائج منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

أولاً: ارتبطت نشأة الأسلوبية باللسانيات الحديثة.

ثانياً: يكاد عبدالقاهر الجرجاني يتوافق مع الأسلوبيين في كثير من مباحثه.

ثالثاً: دراسة مباحث الأسلوبية ومفهومها في الدراسة العربية الحديثة تؤكد عملية التواصل بين القديم والجديد.

رابعاً: تتخذ الأسلوبية من الخطاب الأدبي عامة مادة وغاية لها.

خامساً: تركز الأسلوبية على اللغة في تحليل النص ودراسته.

سادساً: كانت البواكير الحقيقية للممارسة النقدية الأسلوبية بمفهومها الحديث في نهاية السبعينات من القرن الماضي.

سابعاً: بدأ تيار الأسلوبية في النقد العربي في المغرب والجزائر ثم انتقل إلى المشرق العربي.

المراجع

إسماعيل، عزالدين.(٢٠٠٤م)، الأدب وفنونه، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٩.

بليث، هنريش. (١٩٩٩م)، البلاغة الأسلوبية، تر. وتع. محمد العمري، الدار البيضاء، إفريقيا (الشرق) ط٢.

جبر، محمد عبد الله. (١٩٨٨م)، الأسلوب والنحو، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط١.

الحسناوي، خالد توفيق مزعل، الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السورة القرآنية: دراسة تطبيقية على السور المكية؛ رسالة دكتوراه (مخطوطة) ، جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، إشراف أ. م. د. سيروان عبدالزهرة هاشم الجنابي.

خفاجي، محمد عبد المنعم، فرهود، محمد السعدي، شرف، عبد العزيز. (١٩٩٢م)، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط٢.

الزهرة، شوقي على. (١٩٩٦م)، الأسلوبية بين عبدالقاهر وجون ميري، مكتبة الآداب، القاهرة.

السد، نور الدين. (١٩٩٧م)، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة، الجزائر، ج١.

سليمان، فتح الله أحمد. (١٩٩٧م)، الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، د. ط.

عبد المطلب، محمد. (١٩٩٤م)، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط١.

عبابنة، سامي محمد. (٢٠١٠م)، التفكير الأسلوبي رؤية معاصرة، في التراث النقدي والبلاغي في ضوء علم الأسلوب الحديث، عالم الكتب الحديث، إربد، ط٢.

عبد النور، جبور. (١٩٧٩م)، المعجم الأدبي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١.

فضل، صلاح. (٢٠٠٢م)، مناهج النقد المعاصر، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، ط١.

المسدي، عبد السلام. (١٩٨٢م)، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط٢.

المسدي، عبد السلام. (١٩٨٣م)، النقد والحداثة ، دار الطليعة، بيروت، ط١.

مسلم، يوسف. (٢٠١٣م)، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣.

مصلوح، سعد. (١٩٩٢م)، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط٣.

الدوريات :

بركة، بسام. (٢٠٠١م)، الخطاب الأدبي والنقد الأسلوبي الحديث عند جورج مولينيه ، مجلة البحرين الثقافية، ٣٠٤.

الحاج، بشرى موسى، المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، علامات، ج٤٠، مج١٠، السعودية.

كامل، وفاء محمد. (١٩٩٧م)، البنيوية في اللسانيات، عالم الفكر، ج٢٦، ٢٤.

يوسف، قليل، مدخل إلى الأسلوبية، مجلة العلوم الاجتماعية www.swmsa.net.